أسماء الله الحسنى

الْمُحْسِن جل جلاله

اللقاء الرابع والثلاثون

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "أجلُّ الفوائد وأشرَفها ما دلَّ عليه الكتاب العزيز؛ من مَعرفة الله بصِفات كمالِه ونُعوتِ جلاله، وآياتِه ومخلوقاته، ومعرفة ما يترتَّب على ذلك من عبادته وطاعتِه وتعظيمِ أمرِه ونهيه، وأدلَّةُ ذلك مبسوطةٌ في كِتاب الله، وأكثر النَّاس ضَلَّ عن هذين الأصلَين مع أنَّهما زبدَة الرِّسالة ومقصود النبوَّة ومَدارُ الأحكام عليهما".

إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى: الْمُحْسِنَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؛ فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَشَدَّ مِنْهُ إِحْسَانًا وَكَرَمًا وَجُودًا؟!

المُحْسِن سبحانه: رَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- بَلَغَ الْكَمَالَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ؛ (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)[الْأَعْرَافِ: 180]؛ فَلَا أَحْسَنَ وَلَا أَكْمَلَ مِنْهُ، فلا شيء أكمل ولا أجمل من الله، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، وهو الذي لا يُحَد كماله ولا يوصَف جلاله، ولا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، إن أعطى فبفضله ورحمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته، وهو الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، فأتقن صنعه وأبدع كونه وهداه لغايته، وأحسن إلى خلقه بعموم نعمه وشمول كرمه وسعة رزقه على الرغم من مخالفة أكثرهم لأمره ونهيه، وأحسن إلى المؤمنين فوعدهم الحسنى وعاملهم بفضله، وأحسن إلى من أساء فأمهله ثم حاسبه بعدله.

الدليل على ثبوت الاسم في السُّنَّة النبويـة: اسم الله المحسن لم يرد في القرآن الكريم، ولكنه ورد في السنة النبوية مطلقًا يفيد المدح والثناء على الله بنفسه، فقد ورد عند الطبراني وصححه الألباني من حديث أنس أن رسول الله-ﷺ- قال: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ»[السلسلة الصحيحة].

وكذلك ورد من حديث شداد بن أوس أنه قال: "حفظت من رسول الله اثنتين قال-ﷺ-: «إن الله محسنٌ يحب الإحسان، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ثُمَّ لْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»"[صحيح الجامع].

معنى الإحســان في اللغة والاصطلاح: الحُسْنُ نقيض القُبْح، وحَسَّنتُ الشيء تحسِينًا، أي: زيَّنْتُه وأحْسنتُ إليه وبه.

والإحسان يدور حول ثلاثة معاني: 1- التزيين 2- الإنعام على الغيـر كما يُقال: "أحْسَنَ إلى فلان". 3- الإحســان في الفعل وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا حَسنًا، أو عَمِلَ عملاً حسنًا.

✉وعلى هذا قول أمير المؤمنين علي: "الناسُ أبناء ما يحسنون"، أي: مَنسوبون إلى ما يَعْلمون من الأفعال الحسنة. والإحسانُ: أن يُعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلَّ مما له.

🗐قال المناوي: "الإحسان: إسلامٌ ظاهِر، يقيمه إيمانٌ باطن، يكمله إحسانٌ شهوديٍ" (التوقيف على مهمات التعاريف:1:40)، فمنزلة الإحسان أعلى من منزلة الإسلام والإيمان، وتتحقق بأن يستشعر المرء وجود الله سبحانه وتعالى وقُربه منه في جميع أعماله، أو أن يستشعر رؤية الله له وهي منزلة المراقبة.

🗐قال أبو البقاء الكفوي في كتابه (الكليات): "الإحسان: هو فعل (الإنسان) ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه" (الكليات:1:60) ويقول 🗐الفيروز آبادي: "الإحسان من أفضل منازل العبوديّة؛ لأنه لبّ الإيمان ورُوحُه وكمالُه، وجميع المنازل منطويةٌ فيها قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن:60]، وقال رسول الله -ﷺ- «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ» (رواه مسلم)" (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:2:465).

✍معنى الاسم في حق الله تعالى: قال القرطبي عن اسم الله المُحْسِن: "أن معناه راجعٌ إلى معنى المُفْضِل وذي الفَضل والمنَّان والوهَّاب" (الكتاب الأسنى).

🗐وقال المُناوي في قوله: إن الله محسنٌ، أي: "الإحسان له وصفٌ لازمٌ، لا يخلو موجودٌ عن إحسانه طَرْفةَ عين، فلا بدَّ لكل مُكوَّن من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد" (فيض القدير:2:264)، فالله سبحانه وتعالى أحسنَ إلى جميع الخلق بنعمة الإيجـاد والإمداد، وأنعم على المؤمنين بنعمة أخرى وهي نعمة الهدايــة.

✍درجـــات الإحســـان: وقد لخَّص الإمام ابن القيم الإحسان في ثلاث درجات: "1- الإحسان في القصد 2- والإحسان في الأحوال 3- والإحسان في الوقت".

❶الدرجة الأولى: الإحسان في القصد بتهذيبه علمًا، وإبرامه عزمًا، وتصفيته حالاً أي: الإحسان في النية، بتنقيتها من الشوائب بألا يكون هناك للنفس أي حظ من عمله، ويجعل قصده رضــا ربِّه فقط، ولن تتمكَّن من إصلاح نيتك إلا بالعلم، الذي يكون من خلال:

1- علمٌ بالله سبحانه وتعالى 2- علمٌ بصحة الطريـــق 3- علمٌ بالجزاء عند ربِّ العالمين.

✉وبعد أن تتعلَّم تلك الأمور، التي تُمَثِل الدافع لك للسير على الدرب والإحسان فيه، يصدق في العزم على القيـــام بالأعمال الصالحة لينال ثوابها، ويهدد نفسه لأن لم تفعل المطلوب ليكونن لها بالمرصـــاد.

❍وعلامة العزيمة الصادقة: النشاط في العمل، أما الفتور فهو دليل على عدم الصدق.
❍وتصفيــة الحــال بتنقية القلب من شوائبه وآفاته عن طريـــق الإكثــار من الاستغفار.

❁فإذا أردت أن تصل إلى هذه المنزلة العظمى عند الله تعالى وتصير من المحسنين: عليك أن تراعي تصفيـــة حالك ونيتك، وإذا وجدت الأمور تتعثر، فاتهم نيتك فإنما يتعثر من لم يُخْلِص.
❷الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال وهو أن تراعيها غيرةً، وتسترها تظرفًا، وتصححها تحقيقًا: .... فتغار على قلبك أن يتلف أو يفسد بعد أن وصل إليه الإيمان؛ لأنه لو تقلَّب بعد ما ذاق ربما ينتكس انتكاسة لا يعود بعدها أبدًا، وتستر أحوالك الإيمانية عن الناس، ولا تريد أن يطلّع عليها أحدًا سوى الله سبحانه وتعالى.

❍ويصحح أحواله بحيث يتحقق بأنه على الدرب الصحيح؛ لأن الأحوال مواهب وقد تكون من تلبيس إبليس على النفس في بعض الأحيان، كالذي يبكي في الصلاة ويظن أن بكاءه كان من خشية الله، ثمَّ فور انتهاءه من الصلاة يعود لمعاصيه ولا يراعي نظر الله تعالى إليه، فحينها يعلم أنه كان حال مغرور، أما الحــال الصادق فسيورث صاحبه الخشية.

❍الدرجة الثالثة: الإحسان في الوقت وهو أن لا تزايل المشاهدة أبدًا ولا تخلط بهمتك أحدًا، وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدًا.

✿المعنى: أن تعلق همتك بالحق وحده ولا تعلق همتك بأحدٍ غيره، أي تحافظ على وقتك؛ لأن وقتك هو رأس مالك وستُسأل عنه فتَغيِر أن يضيع هذا الوقت دون الوصول.

أنـواع فضل الله تعالى وإحسانه على الخلق: وللأقليشي توسعٌ جميل في بيان الجود والفضل والإحسان وأنواعه على الخلق، إذ يقول: وذلك ينحصر في ثلاثة أقسام: 1- قاعدة 2- وواسطة 3- ومُتممة.

أما القاعدة: فتشتمل من الإحسان والمن على ثلاث شعب: 1- إخراجه من عدمٍ إلى وجود بمقتضى صفة الكرم والجــود قال تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) [الإنسان:1]. 2- بعد خلقه تصويره في صورة آدم عليه السلام وهي أحسن الصور، قال تعالى: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) [غافر:64]. 3- جَعْلُه إيـاه عاقلاً، لا معتوهًا ولا سفيهًا حتى يمتاز عن سائر الحيوانات قال تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) [الإنسان:3].

أما الواسطة فهي للقسمين رابطة، ويشتمل من الإحسان والإنعام والمنّ على ستِ شُعَب:

1- هدايته إيـــاه للإسلام وهذا أعظم الإحسان والإنعام، وهو المراد بما ذُكِرَ في القرآن من الهدى والنور، والشَّرح للصدور، وغير ذلك من هذا النوع.

2- جَعَلَه من أمة محمد خير الأنبياء وخير الأمم، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [آل عمران من الآية:110].

3- إحسانه إليه بأن حفظ كتابه العظيم حتى يكون مُعبّرًا عن كلام ربِّه بلسانه، وراغبًا إليه بجنابه وهذا من أعظم إحسانه، كما قال ابن عباس في تفسير قول الله: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس:58]، إنه القرآن.

4- عَلَّمه بعد حفظه من معانيه، ومن شريعة نبيه، ومن حقائق علمه أثرًا ونظرًا وقد قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة:11]، وأعظم العلم؛ العلم بالقرآن، فكل ما شغلك عن القرآن فهو مشغلة.

5- ما أحسنَ به إليه، وأنعم عليه من: العمل بما عَلِم وهذا هو ثمرة العلم، وقد قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر:28].

6- إحسانه إليه وتوفيقه حتى يَنْشرَ ما علم في عباده ويكون نور بلاده، يُستضاءُ بسراجه، ويُقْتفَى واضحَ منهاجه.

وأما المتممة: فهو ما أنعمَ به عليه، وأحسنَ إليه، من إظهار عوارف وإدرار لطائف، شرفَ بها نوعه، وأكمل بها وصفه، ويشتمل على أربع شُعَب:

1- ما أنعم به عليه من: كمال الصورة، واعتدال الخِلقة، وفصاحة اللسان، وسلامة الهيئة من تشوهٍ أو نقص عضوٍ وهذه نعمة من الله عليه ومن لطفه به.

2- ما أنعم به عليه: من انتظام الحال واتساع المال حتى لا يحتاج إلى أحدٍ من الخلق في اكتساب الرزق، ويحتاج إليه غيره، فيعُمهم خيره وهذه نعمةٌ يجب شكرها، إذ ليس كل أحدٍ يُعطاها.

3- ما أنعم به عليه: من عُصبة وعشيرة وهي الرفقة الصالحة التي تأخذ بيده وتحوطه من وراءه وهي مرآة لنفسه؛ فتبصره بعيوبه وتكن عونًا له على الطريق.

4- ما يُنعم به عليه من المرأة الصالحة الموافقة، فتسكن إليها نفسه وقد قال رسول الله-ﷺ-: « إِنَّما الدُّنيا متاعٌ ولَيسَ مِن متاعِ الدُّنيا شَيءٌ أفضلَ منَ المرأةِ الصَّالِحةِ» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

5- ما أنعم عليه من صحة الجسم وفراغ البال عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-:«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (صحيح البخاري).

✉وهذه الآية تجمع لنا ما سبق ذكره وَرَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ؛ (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)[السَّجْدَة: 7].

✉فَالْإِحْسَانُ لَهُ وَصْفٌ لَازِمٌ، فَلَا يَخْلُو مَوْجُودٌ مِنْ إِحْسَانِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَهُوَ غَمَرَ الْخَلْقَ جَمِيعًا بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ؛ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، وَلَا قِيَامَ لَهُمْ وَلَا بَقَاءَ إِلَّا بِهِ وَبِجُودِهِ وَإِنْعَامِهِ.

🗐قال ابن القيم -رحمه الله- موضحًا بعض مظاهر إحسان الله إلى عباده في كل مراحل حياتهم: "الرزق والأجل قرينان مضمونان؛ فما دام الأجل باقيًا، كان الرزق آتيا، وإذا سد عليك بحكمته طريقًا من طرقه، فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه؛ فتأمّل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحدة وهو السرّة -الحبل السرّي-، فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول، لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطعت الطريقان بالفطام، فتح طرقًا أربع أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يُضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة؛ لكنه سبحانه فتح له -إن كان سعيدًا- طرقًا ثمانية، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء".

✉وَسَخَّرَ لَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ؛ (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً..)[لُقْمَان: 20].

✉وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ النِّعَمَ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى؛ (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[إِبْرَاهِيمَ: 34].

✉وَأَعْظَمُ الْإِحْسَانِ لِلْعَبْدِ: تَوْفِيقُهُ لِهَذَا الدِّينِ، وَشَرْحُ صَدْرِهِ لِلْإِسْلَامِ، وَالثَّبَاتُ عَلَى الْحَقِّ إِلَى الْمَمَاتِ؛ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[النَّحْلِ: 128].

✉وَتَوْفِيقُ أَوْلِيَائِهِ إِلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْآمِنَةِ؛ (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[النَّحْلِ: 97].

✉وَتَفْرِيجُ كَرْبِ أَوْلِيَائِهِ هُوَ إِنْجَاؤُهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْهُمُومِ؛ فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَالَ حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[يُوسُفَ: 100].

✉وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ: الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ لِحُسْنِ عِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، جَاءَ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّهُورِ"(حَدِيثٌ صَحِيحٌ).

✉ثُمَّ يَتَجَلَّى كَمَالُ إِحْسَانِهِ لِأَوْلِيَائِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ؛ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْإِحْسَانِ وَزِيَادَةٌ، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)[يُونُسَ: 26]؛ فَالْحُسْنَى لَهُمُ: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمُ الْأَعْلَى؛ الَّذِي لَا أَحْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ وَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَسْمَى مِنْهُ.

✉وَجَمَعَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُمْ مِنَ الثَّوَابَيْنِ الْمُعَجَّلِ وَالْمُؤَجَّلِ فِي قَوْلِهِ: (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[آلِ عِمْرَانَ: 148].

✉وَرَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- إِحْسَانُهُ عَظِيمٌ؛ فَأَحْسَنَ شَرْعَهُ، وَجَعَلَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْعَوَاقِبِ الْحَمِيدَةِ، وَالْغَايَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي فِيهَا خَيْرٌ لِكُلِّ الْخَلْقِ: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[الْمَائِدَةِ: 50].

✉رَبُّنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ، وَيُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمُقْتَضَى مَعَانِي أَسْمَائِهِ؛ فَهُوَ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[الْبَقَرَةِ: 195].

✉وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ:

❶إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَهِيَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الدِّينِ وَأَرْفَعُهَا؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورِ، وَفُسِّرَ الْإِحْسَانُ فِي الْحَدِيثِ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"(أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فهذان مقامان: أحدهما: مقام المراقبة، وهو أن يستحضر العبد قرب الله منه واطلاعه عليه؛ فيتخايل أنه لا يزال بين يدي الله، فيراقبه في حركاته، وسكناته، وسره وعلانيته، فهذا مقام المراقبين المخلصين، وهو أدنى مقام الإحسان.

والثاني: أن يشهد العبد بقلبه ذلك شهادة، فيصير كأنه يرى الله ويشاهده، وهذا نهاية مقام الإحسان، وهو مقام العارفين. فمن وصل إلى هذا المقام، فقد وصل إلى نهاية الإحسان، وصار الإيمان لقلبه بمنزلة العيان، فعرف ربه وأنس به في خلوته، وتنعم بذكره، ومناجاته، ودعائه .

❷وَإِحْسَانٌ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَذَلِكَ بِإِيصَالِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَالْكَفِّ عَنْ أَذَاهُمْ؛ قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[التَّوْبَةِ: 120]، وَقَالَ: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)[الرَّحْمَنِ: 60]، وَصَحَّ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ عِبَادَةَ اللَّهِ؛ فَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ"(حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الدُّولَابِيُّ فِي الْكُنَى وَالْأَسْمَاءِ).

✉وَأَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ: الْوَالِدَانِ؛ لِقَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)[الْأَحْقَافِ: 15].

إِلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ أَشْكُو تَضَرُّعَا *** وَأَدْعُوكَ فِي الضَّرَّاءِ رَبِّي لِتَسْمَعَا

إِلَهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَا وَكُنْ بِنَا *** رَؤُوفًا رَحِيمًا مُسْتَجِيبًا لَنَا الدُّعَا

فَيَا مُحْسِنًا قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ دَائِمًا *** وَيَا وَاسِعًا قَدْ كَانَ عَفْوُكَ أَوْسَعَا

نَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا *** فَإِنَّ لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنْكَ لَمَطْمَعَا

أَغِثْنَا أَغِثْنَا وَارْفَعِ الشِّدَّةَ الَّتِي *** أَصَابَتْ وَصَابَتْ وَاكْشِفِ الضُّرَّ وَارْفَعَا

وَجُدْ وَتَفَاضَلْ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *** مِنَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا

حظ المؤمن من اسم الله تعالى المُحْسِن:

المنزلة الأولى: الإحسـان مع الله تعالى.

يقول الله تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [القصص:77]، راقب ربَّك الوهاب المنَّان المُنْعِم عليك في كل وقتك، ولا تنس ذلك، والطريق لأن تكون محسنًا مع ربِّكَ يبدأ بـــ:

1- الإخلاص وذلك بأن تضع الآخرة نُصب عينيك، تذكَّر دائمًا أبدًا أن هناك جنَّة ونـــار، وأن الموت آتيـــك لا محالة.

2- التوازن بين متطلبات الحيـــاة والسير إلى الآخرة فاعطِ كل ذي حقٍ حقه فعليك أن تُحْسِنَ في طلب الحلال، كما أحسنَ إليكَ في الإحلال وعليك أن تعمل في الدنيا للآخرة؛ حتى تبلغ هذا المقام.

3- إتقـان العبـــادة عن أبي ذرٍّ قال: "أوصاني خليلي أنْ أخشى الله كأنِّي أراهُ، فإنْ لم أكن أراه، فإنَّهُ يراني" (جامع العلوم والحكم)، فتحتاج أن تتعلم الفقه؛ لكي تكون عبادتك على هدي النبي وغيرها من العلوم التي تعينك على الإحسان في عبادتك لله تعالى.

4- المراقبـــة لذلك حينما سُئِل النبي عن الإحسان، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يَراك» (رواه مسلم).

5- الشكر لله تعالى فهل جزاء كل تلك النِعَم التي أحسن الله تعالى عليك بها إلا الشكر له سبحانه؟

والمؤمن يستشعر إحسان الله سبحانه وتعالى به عند ما يخرجه من سجن الشهوات إلى عز الطاعة، ومن سجن الخطايا إلى فرج التوبة، مصداقًا لقوله على لسان نبيه يوسف: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) [يوسف:100].

6- مواجهة المُلِمات بالصبـــر عليها قال تعالى: (وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) [هود:115].

7- مجـــاهدة النفس بكظم الغيظ ومحاربة الشُح وكبح شهوة الانتقـــام، يقول الله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [آل عمران:134]، فمجاهدة النفس لتحقيق تلك الأمور، من علامات إحسـان العبـد.

8- الجهـاد في سبيل الله كما في قول الله: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت:69].

المنزلة الثانيـــة: الإحسـان إلى الخلق:

والإحسان إلى المخلوقين: هو بذل المعروف القولي والفعلي والمالي إلى الخلق، فأعظم الإحسان تعليم الجاهلين، وإرشاد الضالين، والنصيحة لجميع العالمين.

ومن الإحسان: إعانة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وإزالة ضرر المضطرين، ومساعدة ذوي الحوائج على حوائجهم، وبذل الجاه والشفاعة للناس في الأمور التي تنفعهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ؛ أَحَبُّ إليَّ من أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ، شهرًا) حسّنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير).

ومن الإحسان المالي: جميع الصدقات المالية، سواء كانت على المحتاجين، أو على المشاريع الدينية العام نفعها.

ومن الإحسان: الهدايا والهبات للأغنياء والفقراء، خصوصاً للأقارب والجيران، ومن لهم حق على الإنسان من صاحب ومعامل وغيرهم.

واسمَع هذا الحديث الجميل الذي يزيد نشاطك لثمرات الإحسان وعمل الخير، ولو كان الإحسان لأهلك وأولادك، فلكل عمل أجر، والحديث في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُها ثَلاثَ تَمَراتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدةٍ مِنْهُما تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّت التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّار))".

العفو عن المخطئين المسيئين، والإغضاء عن زلاتهم، والعفو عن هفواتهم.

دفع الخصومة والخلافات، يقول الله: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت:34].

حُسن معاملة الضعفاء منهم كالإحسان إلى اليتيم، يقول الله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الأنعام:152].

ومن أعظم أنواع الإحسان: تعليمهم ما ينفعهم في دينهم، ويكون سببًا في نجاتهم في الدنيا والآخرة من علوم الكتاب والسُّنَّة وفقه السلف، وإرشادهم إلى طرق الخيرات والقربات، وتحذيرهم مسالك الشر والهلكات، يقول الله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [آل عمران:164].

فأحْسِن تعاملك مع الخلق، بداية من رد السلام إلى آخر ما جاء به الإسلام، ولا تعامل الناس بمعاملاتهم، وإنما عاملهم بما تحب أن يعاملوك به وبما تحب أن يراك الله عليه، وإذا وصلت إلى منزلة الإحسان مع الله ومع الخلق، فأبشِر بخيري الدنيا والآخرة، وأبشِر بالفردوس الأعلى؛ فإنها مأوى المحسنين: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) [الزمر:34].

ومن كانت طريقته الإحسان، أحسن الله جزاءه، قال تعالى: (هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ) [الرحمن: 60]، وهذا استفهام بمعنى التقرير؛ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الله وإلى عباد الله إلا أن يحسن الله جزاءه. وقال تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) [يونس:

26]؛ فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، فـ(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة من الآية:195]، ، ومحبة الله هي أعلى ما تمناه المؤمنون، وأفضل ما سأله السائلون، وسببها من العبد أن يكون من المحسنين في عبادته وإلى عباده، فينال من محبة الله ورحمته بحسب ما قام به من الإحسان.

✉ومحبته – تبارك وتعالى – لعبده المؤمن شيء فوق إنعامه، وإحسانه، وعطائه، وإثابته، فإن هذا أثر المحبة وموجبها، أما هي فأعظم من ذلك وأشرف.

"إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ. وفي رواية: وزادَ ثُمَّ تَلا هذِهِ الآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزِيادَةٌ} [يونس: 26]. صحيح مسلم

📝فإنَّ تَبييضَ الوجوه والرِّضا عنهم مع إدخالِهمُ الجَنَّةَ وإنجائهم من النَّارِ كان مُنتهى أمَلِهم؛ فلا يَتخيَّلون وُجودَ شَيءٍ أفضَلَ من هذا، ولكنَّ اللهَ الكريمَ، أفضالُه لا تَنتهي، فيَكشِفُ الحِجابَ عن أعيُنِ النَّاظِرين، وحِجابُه تَعالَى منَ النُّورِ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النَّظر إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ، {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26]»، فالحُسنى: هي الجَنَّةُ التي أدخَلَهم اللهُ إيَّاها، والزِّيادةُ: هي النَّظرُ إلى ربِّهم، ومِصداقُ ذلكَ قَولُ الحقِّ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: 22، 23]، فبَيَّنَ تَعالَى أنَّ جَزاءَ المُؤثِرينَ الآخِرةَ عَلى الدُّنيا: أن تَكُونَ وُجوهُهم حَسَنةً بَهيَّةً مُشرِقةً مُبتَهِجةً، وأنَّهم يَرَونَ رَبَّهم عيانًا، فيَتمَتَّعونَ بالنَّظَرِ إلى اللهِ تَعالَى، وجَمالِه الباهِرِ الَّذي ليسَ كَمِثلِه شَيءٌ.

📝مُحْسِن ربنا إلى خلْقه، مُحْسِن بإيجادهم فأحسن خلقهم، مُحْسِن بتدبير شأنهم ومُحْسِنٌ إليهم، يحسن الله إلى خلقه فيسوق أرزاقهم، يحسن الله إلينا فيكشف عنا الكربات، يحسن الله إلينا فتتوالى علينا النعماء والسراء والرخاء، يحسن الله إلينا فتنفرج الصدور وتبتهج القلوب وتأنس، فيحل السعد والأنس والفرح، يحسن الله إلينا فإذا بكثيرٍ مما تكرهه النفوس عما قريبٍ ستنجلي إحسانًا من الله، يحسن الله إلى عباده إحسانًا عامًا لا يخرج شيء عن الخلق منه، فيحسن الله إلى خلقه أجمعين.

📝إقبال القلوب على ربٍّ مُحْسِنٍ عظيم تجعلها أكثر افتقارًا إليه وإلحاحًا عليه، وطَرقًا لبابه ولزومًا عند أعتابه، ربنا مُحْسِن، استلهام هذا المعنى عند رفع الأيدي في الدعاء أو وضع الجباه في السجود لاستنزال المطالب ورفع الحوائج يجعلنا أكثر صدقًا في طلب ما عند الله سبحانه؛ لأنه مُحْسِن.

ونسألُك لذَّةَ النَّظرِ إلى وجهِك الكريمِ والشَّوقَ إلى لقائِك في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّةٍ ولا فتنةٍ مضلَّةٍ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهْتدينَ.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المحسنين.

المراجع:

❶المحسن: هاني حلمي عبد الحميد.

❷المحسن -جل جلاله-: د عبد الله بن مشبب القحطاني.

❸ الموسوعة العقدية: الآثار الإيمانية لاسم الله المحسن.